

فأنا (أنا) ؟

ولقد كنت يوماً طفلاً ثم صرت شاباً ، وكنت شاباً فصرت  
كهنلاً ، فهل خطر على بالك أن تسأل : هل هذا الشاب هو ذلك  
الطفل ؟ وكيف ؟ وما جسمي بجسمه ، ولا عقلي بعقله ، ولا يدي  
هذه يده الصغيرة . فأين ذهبت تلك اليد . ومن أين جاءت  
هذه ؟

وإذا كانا شخصين مختلفين فأيهما أنا ؟ هل أنا ذلك الطفل  
الذي مات ولم يبق في من جسده ولا فكره ببقية ؟ أم أنا الكهل  
الذي يلقى هذا الحديث ؟ أم أنا الشيخ الذي سيأتي على أثره بجسمه  
الوانى وذهنه الكايل ؟ ما أنا ؟

وتقول : « حدثت نفسي ، ونفسي حدثتني » فهل فكرت  
مرة ، ما أنت ؟ وما نفسك ؟ وما الحد بينهما . وكيف تحدثك  
أو تحدثها ؟

وتسمع الصباح جرس الساعة يدعوك إلى القيام — فقد  
حان الموعد ، فتحس من داخلك داعياً يدعوك إلى النهوض ،  
فإذا ذهبت تهض ناداك منك مناد أن تريح قليلاً واستمتع  
بدفء الفراش ، ولذة المنام — ويتجاذبك الداعيان : داعي القيام  
وداعي المنام . فهل فكرت ما هذا ؟ وما ذلك ؟ وما أنت بينهما ؟  
وما الذي يزين لك المعصية ومن يصور لك لذتها ، ويحرك إليها ؟  
وما الذي ينفرك منها ، ويمدك عنها ؟ يقولون : إنه النفس وإنه  
العقل . فهل فكرت يوماً ما النفس الأمانة بالسوء ، وما العقل  
الزادع عنه ؟ وما أنت ؟

وتتور بك الشهوة ، حتى ترى الدنيا كلها مخدع الحبيب ،  
والحياة كلها متعة الجسد ، وتمنى أمانى لو أعطيتها شيطان لارتجف  
من فظاعتها الشيطان ، ثم تهبط شهوتك فلا ترى أقيح من هذه  
الأمانى ، ولا أسخف من ذلك الرمال !

ويمصف بنفسك النضب حتى ترى اللذة في الأذى ، والتمتع  
بالانتقام . وتندو كأن سبماً حل فيك ، فصارت إنسانيتك وحشية  
.. ثم يسكت عنك النضب ، فتجد الألم فيما كنت تراه لذة ،  
والندم على ما كنت تمناه

من أماريت الرواغة

## أيها الإنسان .. اعرف نفسك

للأستاذ على الطنطاوى

إنكم تسمعون كل يوم أحاديث في الجدل وفي الهزل ، وفي  
الخير وفي الشر . أحاديث تدعو إلى الوطنية ، وأحاديث تسمو  
بالخلق ، وأحاديث فيها متعة وفيها تسلية ؛ ولكن حديثي الليلة  
أهم من هذه الأحاديث كلها ، لا لأني أنا كاتبه ، أعوذ بالله من  
رذيلة الغرور ، بل لأنه أسس الموضوعات بكم ، وأقربها إليكم ،  
ولأنه دعوة لكم لتعرفوا أنفسكم

لا تضحكوا يا سادة ولا تظنوا أنني أهزل ، ولا تقولوا :  
ومن منا لا يعرف نفسه ؟ فإنه كان مكتوباً على باب معبد أثينة  
كلمة سقراط : « أيها الإنسان اعرف نفسك » ومن يوم سقراط  
إلى هذه الأيام ، لم يوجد في الناس ( إلا الأقل الأقل منهم ) من  
عرف نفسه !

ومتى تعرف نفسك يا أخى ، وأنت من حين تصبح إلى حين  
تنام مشغول عنها بحديث أو عمل أو لهو أو كتاب ؟  
ومتى تعرف نفسك وأنت لا تحاول أن تحلوها ساعة كل  
يوم تفكر فيها لا يشكك عنها تجارة ولا علم ولا ستاع ؟  
ومتى .. وأنت أبداً تفكر في الناس كلهم إلا نفسك ..  
وتحدثهم جيماً إلا إياها ؟

\*\*\*

تقول « أنا » فهل خطر على بالك مرة واحدة أن تسأل :  
« ما أنا » ؟ هل جسمي هو (أنا) ؟ هل أنا هذه الجوارح  
والأعضاء ؟

إن الجسم قد يشتم بعاة أو مرض ، فتبت ساق ، أو تقطع  
يد ، ولكن (أنا) لا يمينى بذلك ههنا !

وتكون وانيا ، واهى الجسم ، لا تستطيع حرا كما ، فإذا  
 حاق بك خطر ، أو هبط عليك فرح . وثبت كأن قد نشطت من  
 عقل ، وعدوت عدو النزال ، فأين كانت هذه القوة كامنة فيك ؟  
 هل خطر على بالك أن تبحث عن هذه القوة فتحسن استغلالها ؟  
 هل تسألت مرة عندما تنضب أو تفرح فتعمل الأفاعيل —  
 كيف استطعت أن تفعلها ؟

إن النفس يا أخى كالنهر الجارى ؛ لا تبت قطرة منه في مكانها ،  
 ولا تبقى لحظة على حالها ، تذهب ويحى غيرها ، تدفها التي  
 هي وراءها ، وتدفع هي التي أمامها . في كل لحظة يموت فيك  
 واحد ويولد واحد ، وأنت الكل ؛ أنت الذى مات وأنت الذى  
 ولد ، فابتغ لنفسك الكمال أبدا ، واصعد بها إلى الأعلى ،  
 واستولدها دائما مولودا أوسع وأحسن ، ولا تقل لشيء لا يستطيعه  
 فإنك لا تزال كالنفس الطرى ، لأن النفس لا تيس أبدا ، ولا  
 تجمد على حال ، ولو تباعدت التقلية ، وتباينت الأحوال .. إنك  
 تعود السهر حتى ما تتصور إمكان تعجيل المنام ، فاهى إلا أن  
 تبكر المنام ليالى حتى تعود فتمجب كيف كنت تستطيع السهر  
 وتضمن الخمر حتى ما تظن أنك تصبر عنها ، فاهى إلا أن تدعها  
 حتى تألف تركها ، وتمجب كيف كنت تشربها . وتمجب المرأة  
 حتى ما ترى لك حياة إلا بها ، فاهى إلا أن تلوها حتى  
 تمجب كيف كنت تحبها . فلا تقل لحالة أنت فيها ، لا أستطيع  
 تركها ، فإنك في سفر دائم ، وكل حالة لك محطة على الطريق ،  
 لا تنزل فيها حتى ترحل عنها

\*\*\*

فيا أخى . اعرف نفسك ، واخبل بها ، وغص على أسرارها .  
 وتسال أبدا : ما النفس ؟ وما العقل ؟ وما الحياة ؟ وما العمر ؟  
 وإلى أين المسير ؟  
 ولا تنس أن من عرف نفسه عرف ربه ، وعرف الحياة ،  
 وعرف اللذة الحق التي لا تمد لها لذة . وأن أكبر عتاب عاقب  
 به الله من نسوا الله أنه أنساهم أنفسهم !

على الططاوى

وتقرأ كتابا في السيرة ، أو تلو قصة ، أو تشد قصيدة ،  
 فتحص كأن قد سكن قلبك ملك فطرت بغير جناح إلى عالم كله خير  
 وجمال ، ثم تدع الكتاب ، فلا تجد في نفسك ولا في الوجود  
 أثارة من ذلك العالم

فهل تسألت مرة ما أمان هؤلاء ؟ هل أنا ذلك الإنسان  
 الشهوان الذى يستبيح في لذته كل محرم ويأتى كل قبيح ؟ أم ذلك  
 الإنسان البطاش الذى يشرب دم أخيه الإنسان ، ويتنذى بمنزله  
 ويسعد بشقائه ؟ أم ذلك الإنسان السامى الذى يخلق في سماء  
 الطهر بلا جناح ؟ أسبح أنا أم شيطان أم ملك ؟

\*\*\*

أحسب أنك واحد وأنت معروف . وأنت جماعة في واحد  
 وأنت عالم مجهول . كشفت مجاهل البلاد ، وعرفت ألباق الجوى ،  
 ولا تزال أنت مخفيا ، لم يظهر على أهرارك أحد . فهل حاولت  
 مرة أن تدخل إلى نفسك فتكشف مجاهلها ؟

نفسك عالم عجيب ، يتبدل كل لحظة ويتغير ، ولا يستقر على  
 حال : تحب المرء فتراه ملكا ، ثم تكرهه فتبصره شيطانا ،  
 وما ملكا كان قط ولا شيطانا ، وما تبدل ، ولكن تبدلت  
 حالة نفسك . وتكون في مسرة فترى الدنيا ضاحكة ، حتى أنك  
 لو كنت مصورا لآلت صورتها على لوحك بزاهى الألوان ، ثم  
 تراها وأنت في كدر ، يا كية قد غرقت في سواد الحداد . وما  
 ضحكت الدنيا قط ولا بكت ، ولكن كنت أنت الضاحك  
 الباكي

فا هذا التحول فيك ؟ وأى أحكامك على الدنيا أصدق ؛  
 وأى نظريك أصح ؟ وإذا أسابك إساك فثالك منه مداع ،  
 ساءت عندك الحياة ، واهى جمال الرياض ، وطمس بها الشمس ،  
 واسود بياض القمر ، وملأت الدنيا فلسفة شوم إن كنت  
 فليروفا ، وحشوت الأسماع شعر بؤس إن كنت شاعرا . فإذا  
 زال ما بك بقدر من زيت الخروع ، ذهب التشاؤم في الفلسفة ،  
 والبؤس في الشعر . فافلسفتك يأيها الإنسان وماشرك إن كان  
 مصدرها فقد قدح من زيت الخروع ؟